# تمظهرات المكان المتخيل في شعر عبد الكريم راضي جعفر

**الباحثة غفران بكر علي**
**الأستاذ الدكتور محمد جواد حبيب البدراني**
**قسم اللغة العربية / كلية التربية - القرنة / جامعة البصرة**

**الملخص:-**

يهدف هذا البحث إلى دراسة جماليات المكان المتخيل في شعر عبد الكريم راضي جعفر , كونه شغل مكانة بارزة في دواوينه الشعرية وذلك من خلال تنوعاته ودلالاته ودوره ؛ فهو الواقع المتخيل في ذهن الشاعر نفسه , يخلقه من خياله ليوهم السامع بواقعيته , فقد لجأ الشاعر عبد الكريم راضي جعفر إلى توظيف أشياء عجيبة إلى عالم خيالي , عالم سحري تاركاً وراءه حدود الواقع وهمومه فوجد في هذه الأماكن فسحة الجمال والأمان والحب الذي فقده في المكان الواقعي .

**كلمات مفتاحية:** المكان، المتخيل، الواقع ، الأحلام ،الجمال.

**تاريخ الاستلام:** ٢٠٢٢/٠٥/٢٢ **تاريخ القبول:**٢٠٢٢/٠٦/٢٣

# The Manifestations of the Imagined Place in the Poetry of Abdul-Kareem Radhi Jaafar

**Res. Ghufraan Bakar Ali**
**Prof. Dr. Mohammed Jawad Habeeb Al-Badrani**
**Department of Arabic Language/ College of Education-Qurna /University of Basra**

## Abstract:

This research aims to study the aesthetics of the imagined place in the poetry of Abdul Kareem Radhi Jaafar, as it occupies a prominent position in the poetic collections, through its diversities, connotations, and role; It is the imagined reality in the mind of the poet himself, created from his imagination to delude the listener with its realism. The poet Abdul Kareem resorted to employing wondrous things into an imaginary world, a magical world, leaving behind the borders of reality and its concerns. So, he found in these places a space of beauty, safety and love that he lost in the real place.

**Keywords:** Place, the imagined, reality, dreams, beauty.

**Received:22/05/2022** **Accepted: 23/06/2022**

## المقدمة:

**توطئة (المكان المتخيل: المفهوم والأجراء)**

يعتمد هذا النوع من الأمكنة اللفظية على عنصر الخيال بالدرجة الأولى كونه (( ابن المخيل البحت, الذي تتشكل أجزاؤه على وفق منظور مفترض وقد تستمد بعض خصائصه من الواقع إلا أنه غير محدد وغير واضح المعالم))[١] لأنه يستمد سماته ومكوناته من منطلق خيالي بحت , كما يأخذ أبعاده وفضاءه خارج التماس المباشر مع العالم الواقعي , وهذا النوع من الأماكن لا يستطيع الإنسان رؤيته في حدود الواقع فهو غير مرئي إلا في مخيلة الإنسان المبدع الذي يجعل السامع في حدود مكانية متخيلة ذات أبعاد جمالية فنية , مكان يحيلنا إلى اللامكان , وهو ما تعنيه (يوتوبيا ) وإنما يمكن أن نطلق عليه مكاناً بالنسبة للمخيلة أما بالنسبة للوجود والحواس فأنه لا مكان [٢]

وظاهرياً يبدو المكان المتخيل قد ابتعد عن حدود الواقع , لكنه انغرس انغراساً داخلياً فاعلاً فيه , سواء أكان الجسر الرمزي الواصل بين المكان المتخيل والعالم الواقعي ذا دلالة موضوعية أم نفسية فمن خلال الغاء أو ازاحة التعالقات المنطقية بين الأشياء, يستطيع الشاعر المبدع أن يحقق طموحه الفني , والفلسفي والجمالي بما يغمر به القارئ المتذوق من عوالم مدهشة تستفز الأحاسيس في الذات الإنسانية المكتنهة لحقائق الوجود فالشاعر -غالبا -يبني مكانه المتخيل, كحلم يقظة , يتشكل في خيالنا ويحيلنا إلى العوالم النفسية العميقة والخفية للإنسان المتسامي , وموقفه من الوجود .

ففي المكان المتخيل , نلاحظ وجود تعبيرات جذرية في المكان الموضوعي لغاية رمزية سامية , تجسد طموح الإنسان المبدع لتغيير صورة العالم من حوله[٣]

وإن (( كانت الدراسات الواقعية قد رأت في المكان شيئا يمكن تحديد أبعاده الجغرافية والاجتماعية والنفسية فإن المكان الحلمي المتخيل فاقد لتلك الشروط أو لجزء منها ))[٤] والمتمثلة بعدم امتلاك المكان المتخيل بعدا ماديا موضوعيا, يمكن من خلاله معاينته وإدراكه عن طريق الحواس ،إذ لا يتمارى سوى للذات المتخيلة التي تنسج له أبعاده وصوره ،وتمنح له واقعيته المتخيلة أو المحتملة , وذلك كونه ابن المخيلة [٥] ويُبنى المكان في خيال القارئ وليس في العالم الواقعي, فقراءة القارئ شعرا أو نثرا سوف يذهب به إلى عالم خيالي مختلف عن عالمه الواقعي ,عالم من صنع الكلمات التي يلقيها الراوي أو الشاعر, ويقع هذا العالم في أماكن مغايرة للواقع الذي يعيشه القارئ. إذن يمكن تعريف المكان المتخيل بأنه :إنتاج خيالي للمكان يحيل إلى الواقع ويخلق للمكان ذاتا تحلق في فضاء فكري مرموز إليه بعناصر تشير إلى الواقع ذاته.

**توظيف المكان:**

أن الشاعر عبد الكريم راضي جعفر من الشعراء الذين لجأوا لجمع أجزاء المكان الواقعي المحطم بسبب الحروب والدمار ليرسم في ذاكرته حدودا جديدة مثالية له وليعطيه دفعة معنوية ليمثل المكان المتخيل أنموذجاً يحاول الشاعر من خلاله تحقيق معالمه المحطمة ولو ضمنياً, ليتجرد من ذلك الجو الكئيب ومن تلك النظرة السوداوية المليئة بالحزن والظلم التي عكست المعاناة التي ألمت بحدود ذلك المكان , فلم يجد شاعرنا وسيلة تساعده على الخروج من ذلك الحزن والظلام الذي عمّ المكان إلا بالأحلام التي لخصت نفسية الشاعر الكارثية , فهروب الشاعر من هذا المكان المدمر بالقنابل والرصاص ما هو إلا دليل على حرص الشاعر لنيل مكان آمن يشعر به بالسعادة والحب ولو كان ضمنياً, فلجأ عبد الكريم راضي جعفر لإعادة بناء المكان من جديد وبعث صورة الحياة فيه التي تضمد التشوهات التي غزت بلده

فالتصوير المبني على عنصر الخيال يجعل المكان بصورة عامة يتجرد من حالة الدمار والخراب والحزن لينتقل إلى الصورة الهادئة التي ألفتها الأحلام الجميلة.[٦]

**-أماكن القهر والعذاب:** يحمل هذا النوع من الأماكن سمة القهر والعذاب , ويبث في النفس الخوف والنفور كون الشاعر يسترجع فيه كل لحظات ألمه وأحزانه ,وطغيان قسوة المكان عليه, لذلك فقد هرب الشاعر من الواقع الأليم إلى عالم الخيال, ففي قصيدة (بصرة العين والملح) تفنن الشاعر في وصف المكان البصري إبان الاحتلال وسيطرة قراصنة الأرض عليه, ولما له من خلفيات أليمة ومحزنة في نفس الشاعر التي انغمست في إطار هذا التصوير وجعلت منه جسرا لهروب الشاعر إلى واقع أجمل , فيقول:

**يا أيُّها البصري..**

**يا صديقيَ (الخليلْ):**

**سيملأُ النَّدى يديكْ,**

**وتملأُ الأكوابُ**

**بالشذا الرقيقْ,**

**وتهمسُ الغصونُ للغصونْ,**

**وتمَّحي مراكبُ القرصانْ..**

**قُل للنخيلِ أنْ يَفيقَ,**

**وللفتى النحيلِ(عُتبةَ)الميمونْ**

**أن يلجمَ الزمانَ والمكانْ؛**

**ليُعشبَ النَّدى ,**

**وتبرأ العيونْ.**[٧]

والمتتبع لهذه الأبيات الشعرية يعي الحالة النفسية التي تعتري الشاعر وهو يتمثل الواقع البصري , فهذا العذاب النفسي منبعه فقدان ملذات الحياة في هذا المكان الذي سيطر عليه العذاب والقهر وعمّ في أرجائه الدمار والخراب وفقدان الأمان , فالشاعر منكسر القلب لما آل إليه بلده , فهو يشير إلى النخيل وإلى أبناء الشعب متمنياً أن يحطم هذا الواقع الأليم ليعيد بناء واقع أجمل يسوده الأمان والسعادة ,لذا نجد شاعرنا حينما لجأ إلى الخيال الشعري فإنه لا يعني هذا الهروب من الواقع (( بل أنّ الشاعر حين يستخدم خياله لا يهرب من الحقيقة , بل يلتمس الحقيقة كذلك في الخيال , فالخيال والواقع كلاهما وسيلة لنقل الصراع الداخلي الذي يُعاني منه الفنان))[٨]

وتظهر سمة العذاب والتعب , والوجع ,في قصيدة(تقاسيم على زند مستوحشٍ فلسطينّي), يقول:

**كيف يعبر النومُ بلدةً عينيكِ!؟**

**كيف تعبر عيناكِ صهوةَ الحلم الأبيضِ**

**و أنتِ في بلدتي المتعبة؟!**

**كيف ينسرب الزعترُ..**

**و أنتِ في ظلِ الزيتون!؟**

**أعنّي –يا شجرَ اللوزِ–أعنّي..**

**فأنا أحتطبُ الآن دمي..**

**أيا نبضَ دمي .. كُن سرباً..**

**فاليمامات أورقتْ نواحاً,**

**والعصافير في الحدائق أمستْ**

**هوىً من لذيذ العناء.** [٩]

نسج الشاعر في هذه الأبيات خيوط الألم والحزن والظلم على واقع فلسطين وأهلها , فعزز هذه الأبيات بألفاظ وعبارات من البيئة التي تمثل الواقع الفلسطيني المرير , مرتقياً بخياله إلى أبعد الحدود فاتحا ممرات مشبعة بالكآبة والوجع اتجاه مكان أصبح راكدا لا حياة فيه غير النواح والنزف, وقد يحمل الشاعر عناصر الطبيعة جزءاً من همومه وألمه , فلم تكن الطبيعة سوى متنفس يستنشق الشاعر فيها معاناته ومأساته فأصبح هواءها النقي يبعث العناء والحزن له , كونها تعكس حقيقة النفوس وما يحلّ فيها من حزن وكآبة وعذاب[١٠]

إن الشاعر هنا يهرب من واقعية المكان المريره المشبع بالألم والعذاب والفقد, ليخلق في أحلامه وتخيلاته مكاناً جديداً مغايراً فيه كل جماليات المكان الفلسطيني المفقود تحت وطأة الاحتلال , إن الشاعر حين يفتقد ذلك

المكان واقعاً يبحث عنه في خياله مُزيحاً عن كاهله ذلك الحزن هارباً إلى الحلم الذي يعيده إلى تخيل المكان الفلسطيني الذي لم تدنسْهُ أقدام الاحتلال وتذبح أبنائهُ.

وفي قصيدته (المدوّنة السابعة/ حائط البكاء ) يخاطب حمورابي(صديقه العتيق), بقوله:

**يا أيّها الزعيمُ .. يا صديقيَ العتيقْ:**

**رأيتَ أنتَ في منامكَ العميقْ**

**يُهاجرُ الوطنْ,**

**محمَّلاً بالزيتِ , والتمرِ, وبالسبائكِ-الذهبْ,**

**ثم رأيتَ كيف هاجرِ النهارُوالصِّغارْ**

**في مركبٍ- مؤنَّثٍ,**

**ناقعةٍ بالملحِ والزَّبَدْ,**

**بلا جوازاتٍ, ولا حقائبْ..**

**رأيتَهُم .. بالفزعِ الأكبرِيغرقونْ** (١١)

اعتمد الشاعر في هذه الأبيات على السرد السلبي, وذلك من خلال تجسيد ظاهرة غياب المكان وسلب كل ما فيه من النفط ,والتمر, والثروات الأخرى ,فالشاعر عبد الكريم رسم الصورة الفنية للذات المعذبة, وهو يرى وطنه قد سُلب منه, والموت والدمار قد أصبح مهيمناً عليه , أثبت من خلال هذه الصورة التجربة الذاتية التي عاشها الشاعر هو وجميع أبناء وطنه, فالعمل الأدبي كما يرى الدكتور عبد المحسن طه بدر يتكون من ثلاثة عناصر ((أولها الذات المبدعة, وثانيها صورة الحياة التي يطرحها الواقع أمام الأديب فهي الإطار الاجتماعي الذي يعايشه ...أما العنصر الثالث فهو الذي يحدد العلاقة بين الذات والموضوع(موقف الأديب من الواقع المعيشي ))) (١٢) وقد جسد شاعرنا هذه العناصر الثلاثة في الصورة الشعرية التي أثبتها في نصه , وهي بدورها أثبتت قدرة الشاعر الإبداعية في تصوير معاناة أبناء شعبه , فالوطن هو المهاجر وليس أبناؤه, وقد تعمد الشاعر محاورة حمورابي بوصفه رمزاً عالمياً للعراق وحضارته, مقارنا بين عظمة حمورابي وعصره وما آلت إليه الأمور .

ويقول الشاعر في قصيدة (ليل البنفسج أو إخوة يوسف):

**فإنَّ المنايا**

**في سنواتِ قَحطٍ عجافْ**

**أكلنَ السباعَ,**

**فلا سنبلةْ..**

**سوى النزفِ,**

و(القُنْبلةْ).

يوسفُ,

أنتَ..

هَاجَرْتَ في زمنِ القحطِ,

وانهيارِ الجوازات,

من أمةٍ..

فتّتْ نورَها,

فانطفأ السترُ في عتمةٍ راعفةْ..[١٣]

فلو نظرنا إلى التعابير الموجودة في هذه الأبيات (نزف),(قنبلة),(يوسف),(جوازات),(قحط), لرأينا أن الصورة هنا ترتفع عن المألوف إلى ما هو أبعد من المعقول, فقد اعتمد الشاعر هنا على الرمز؛ وذلك لتوليد صوره الشعرية, والتي تدفعنا بالاعتقاد أن الشاعر عبد الكريم راضي جعفر يرى أن القصيدة كيانٌ فنيٌ بلغته الرمزية العالية التي تسمو إلى اللغة الإشارية.[١٤] وقد تخيل المكان رابطاً بين قصة يوسف (عليه السلام) والواقع المعاش , ويقول في القصيدة ذاتها:

يوسف:

أرأيتْ..

كيف قطّعْنَ أيديهُنَّ

بعبوةٍ ناسفةْ؟!!

وقَطّعْنَ

نهاراً ظليلْ,

وطفلاً عليلْ..

فتسمعَ نْدبَ حُزنٍ قتيلْ:

"يَمعوّدِ خْلافَك صِرْنهْ يعقوبْ

ومن كد البجيْ ..صدَّكْ عمينهْ

إذا ما بيكْ جيّهْ يوسف ارْجوكْ

بس ودّيْ قميصَك ..لا تجينهْ"[١٥]

يذكر الشاعر في هذه الأبيات نسوة المدينة وما حدث عندما خرج لهن يوسف علية السلام – كناية عن عدم الاحساس بكل هذا الألم لهول ما وقع عليهن عند مشاهدة يوسف , وكذلك نساء العراق لم تعد تلك النساء

تحس بالألم أو الوجع لكثرة ما عانينَ من الألم والوجع والظلم فما كان المكان اليوسفي لنسوة المدينة في مصر إلا صورة للمكان في عراق الشاعر , مكان يجمع بشكل بديع ولافت للنظر بين حال تلك النسوة وحال نساء العراق لكن مع قلب التناص فنسوة يوسف مرفهات منعمات قطّعن أيديهن شبعا ولذة , ونسوة عبد الكريم قطعنْ أيديهن العبوات من دون إرادتهن , من هنا فإن لجوء الشاعر عبد الكريم راضي جعفر إلى عنصر الخيال دليل على التأثر بالقيم الفنية والجمالية التي كان يتمتع بها المكان

ويوظف الشاعر هنا الموروث الشعبي مستفيداً من واحدة من الأبيات الموروثة في النوح الشعبي العراقي ترددها النسوة في المناسبات الحزينة , وقد نجح الشاعر في توظيف ذلك مشبهاً حزن تلك النسوة اللواتي تعودن فقدان الأحبة بحزن يعقوب (علية السلام) لفقد يوسف.

أن الشاعر هنا يمزج بين المكان الواقعي والآخر المتخيل فالنوح أضحى طقساً عراقياً لا تحدّه حدود ولا تقف عنده الأمكنة بل أضحى لازمته عراقية مستمرة غير محددة المكان بسبب كثرة الحروب والصراعات التي شهدها العراق الحديث .

فهو عكر صفوة المزاج وبث مشاعر الألم والحزن الذي طغى على تركيب أبياته الشعرية التي فرضها الواقع المعيشي الذي يعيشه أبناء أمته لكونه منطلقاً أساسيا في بناء التصوير الخيالي له.

وفي قصيدة (ما قاله فلسطيني معاصر في بيروت) يقول:

**سقتُ, يا رمالُ , مثخنَ الجراحْ**

**وحزّ"شمرٌ" رأسيَ المضيءَ..**

**لم أمُتْ**

**علّقَهُ على سنانِ الرمحِ**

**لم أمُتْ.**[١٦]

والشاعر هنا يصور لنا مكاناً افتراضياً متخيلاً , وهو أرض المعركة التي خاضها البطل مع (الشمر) أحد رموز الظلم، وهذا المكان المتخيل في أحداث قتالية متخيلة نموذجٌ للظلم والاستبداد الذي يرفض من الشاعر حتى تنقلب الأحداث، فالبطل شخصية خيالية قُتلت وحُزَّ رأسها ومع هذا لم يمت

وكأن الشاعر يتقنع بقناع الإمام الحسين(عليه السلام),إذ أن حز الشمر للرأس تحيل لا شعورياً إلى واقعة كربلاء واستشهاد سبط الرسول (ﷺ) , (( ويأتي استدعاء شخصية الإمام الحسين بن علي في الشعر الحديث رمزاً للمقاومة والاستشهاد والبطولة... في ظل معاناة القهر والحرمان والفقر والفساد القابع في كل مكان ))[١٧]

لذلك فقد سعى عبد الكريم راضي جعفر لخلق مكان متخيل يستعيد فيه الواقعة التاريخية / الدينية بصبغة معاصرة .ويقول في القصيدة ذاتها :

**وقفتُ دون رأسْ**

**مشيتُ دونَ رأسْ**

**ودستُ خيلَكم**

**ثم ارتقيتُ هامةَ الرماحْ**

**لبِستُ رأسيَ المُضيءْ**

**تعلَّقتْ عيونُكُم,**

**وكنتُ بينَكُم**

**أريجَ زهرةٍ بيضاءْ,**[١٨]

وعلى الرغم من ذلك فقد أخذ يسير من دون رأس رافضاً الاستسلام والظلم، حتى صعدت الشخصية المفترضة إلى مكان مفترض وهو رأس الرماح لتأخذ رأسها المجتث وتعيده إلى مكانه، وتزداد الأحداث خيالا عندما يستطيع البطل انتزاع رأسه وإعادته إلى جسده , بل وجعله رأسا منيرا ينير هذا المكان المفترض، أرض المعركة الخيالية, فالمكان المتخيل مستمد من وقائع حدثت أضفى عليه الشاعر بخياله لمسة جديدة.

**-مكان الحلم:**

يقصد بالمكان الحلمي هو المكان الذي (( يتم رسم جمالياته بوساطة إشارات ذهنية لا يقصد بها الزينة , وليس بواسطة التصوير الحقيقي , كأن تبدو الأطراف مثلا ضخمة طويلة وتوضع فيه بوساطة الحلم مظاهر غير حقيقية ))[١٩] , ويكون تصويره معتمدا على عنصر الخيال بالدرجة الأولى.

فالشاعر عبد الكريم راضي جعفر قد هرب من الواقع المعيشي المر إلى عالم الخيال والرؤيا ليحقق ما يتمناه في أرضه, وهو بهذا الحلم يستطع أن يغير ما يجده منافيا أو غير ملائم لحياته وسعادته , فالشعر الخيالي له القدرة على جعل الحقيقة تعي ذاتها لتتنفذ نفسها بنفسها وتتبدل [٢٠].

ففي قصيدة (متى؟) ,يقول:

**متى ينتصبُ الميزان؟!!!**

**ومتى يلعبُ حَمْلٌ صغيرٌ, أنيقٌ , وديعٌ**

**بقربِ ذئبٍ, قلَّم أنيابهُ,**

**ونزعَ مخالبَهُ؟!**

**كفراشةٍ ناعسةٍ هامسة,**

**قربَ ضفةٍ ذبحها القرشُ**

**والقراصنة؟!**[٢١]

يستهل الشاعر هذه الأبيات بأداة الاستفهام (متى) لدلالة أن الزمن لم يحن بعد حتى يُنصب الميزان, فيكل السلام فهو ينتظر ذلك الزمان ويعلم أن المكان المحفوف بالسلام الذي يقصده الشاعر غير موجود إلاّ في خياله , فهو يطرح أكثر من سؤال , كما وظف بعض الألفاظ التي جعلت المكان عنصرا متخيلاً غير موجود في الواقع لا تظهر من خلاله أبعاده الفكرية في جو يسيطر عليه الحزن واليأس والخوف والتردد جراء بعض المعوقات التي تسيره من حيث المفهوم الدلالي الذي تؤديه معانيه الشعرية ,إلا أن عبد الكريم راضي جعفر له القدرة الكبيرة للتلاعب باللغة , ومهارة المراوغة بالألفاظ السطحية و تخفي المعنى الباطني ,لكنه يبقى وديعاً لميوله النفسية لطبيعة الخوف والقلق مما يبعد الشكوك عن توجهاته السياسية [٢٢] فالشاعر يحلم أن يسود الدفء والحماية والأمان والألفة أرجاء بلده ليصبح أنموذجاً يُقتدى به ورمزا للازدهار والعطاء.

و يلجأ الشاعر إلى الحلم ليصف بيته الذي يتمنى أن يفر إليه من الواقع المرير ويستند إلى الخيال, فيقول:

**ثمّ أغرق في الحلم:**

**" بيتي , هُنا وردةٌ**

**نادمتُ لونها**

**والفراشاتُ أجنحةٌ منْ نضارْ**

**والصبابات مملكةٌ من نَدى,**

**تحملُ الآسَ والنبعَ والقافلةْ.**[٢٣]

يستغل الشاعر هنا الألفاظ الوجدانية المنبثقة من ذاته لمدّ النص بطاقات إيحائية تجذب المتلقي لحدوث ارتباط وجداني عميق في نفسه التي تثيرها هذه الألفاظ ,الأمر الذي يؤدي بالشاعر إلى تكثيف اللحظة الجمالية التي يسبغها على هذه البنية الحلمية .

فهذا المكان الذي يحلم به الشاعر يبدو مكاناً يسوده الطمأنينة والحرية والسلام, فتمتزج هذه الرؤية التي رسمها لبيته في دمه بحيث يبدو مكاناً محصناً من الكآبة والحزن وطارداً للواقع المرير.[٢٤] ويقول:

**انتضيتِ – أنتِ أيّتُها القريبةُ – البعيدةُ –**

**سيفًا قطَّعني بنصلِهِ الثلجيّ، إربًا إربًا،**

**ثمَّ علَّقتِ رأسي على رمحٍ رشيق ..**

**وما إنْ رمقني وجهُكِ الملائكيّ،**

**حتّى تجمَّعتُ في لحظةٍ مُشرقة،**

**عندها .. ارتديتُ رأسي واحتضنتُ الشمسَ**[٢٥]

والشاعر هنا يمتح من بئر الخيال ليخلق مكاناً افتراضيا, لا يمكن وجوده في الواقع , يهرب إليه ليغلّفه بالحب والأمان والعطاء, فهو يجعل المرأة متماهية مع الوطن متحدة فيه , فهي تشكل الروح وتَحلُ في الكيان بأكملة, إذ يجدُ عذاباته في هذا الوطن سعادة وهذه السعادة تتحقق بأن يجد حياته الجديدة في موته وتضحيته للوطن وهذا ملمح يقترب من النظرة الصوفية.

ويحلم الشاعر عبد الكريم راضي جعفر أن يكون وطنه أسطورة في الجمال والأمن والخير والحب, فيقول:

**للمطرِ القادمِ من إيقاعات عصافيرِ بلادي,**

**أفياءُ رفيفٍ واسَنَهُ حلم، فراشةِ نورٍ,**

**حطَّتْ في أروقةِ اللهْ,**

**لا صوتَ, ولا آهْ!!**

**إلا أصوات مَسرَّتنا,**

**ومُواءَ أمانْ**

**أحلم أنَّ المطر القادمَ سيكونُ**

**سماءَ طيورِ الجنّةِ, والحبّ,**

**وكل سماحاتكَ يا وطني:**

**وطنَ النور؛**

**وهمْسِ اللهْ.**[٢٦]

لقد أعطى الشاعر المكان الحالم /الوطن بعداً فنياً جماليا ليكتسح عالم الحزن والظلم والقهر الذي أضحى صورة مألوفة في شعر عبد الكريم راضي جعفر, فجعل هذا الإطار بمثابة فاصلٍ زمني مشكلا لحدود المكان الذي اكتسب حلّة جمالية تفاؤلية, فجعل وطنه رمزا للخير والأمان وهو الفراشة التي تحلق في أشعاره لذلك صوره بأبهى صور التفاؤل والأمل , فقدم لنا في هذه الأبيات صوراً تتآلف فيها المكونات الطبيعية الجميلة : فوطنه وطن النور والحب والمطر, فلا وجود لأصوات الانفجارات والرصاص والآلام فيه , لكن هذا الجمال والسّحر لا يراه إلا في الأحلام لأنه في الحقيقة بعيد عنه وليس موجوداً في واقعه المرير .[٢٧]

**جزيرة الجن:** من الأساطير القديمة المعروفة عند أغلب الناس, إذ تمنح النص الشعري أو النثري فضاءً متخيلاً يحكمه الخيال بالدرجة الأولى ,لأن المكان الأسطوري (( فضاء نفسي مجرد, تنظمه علاقات وروابط داخلية, غرائبية افترضها الخيال البدائي للإنسان))[٢٨].

إذ كانت(( الأساطير للإنسان الأول وسيلة للتأمل في الطبيعة وفهمها , ولم يكن الإنسان قد استطاع بعد أن يحلل الظواهر وبمنطق الأسباب))[٢٩] فقد يحل الخيال المفرط في المكان الأسطوري بصورة تكاد تكون غير معقولة, وهذا واضح في قوله عن جزيرة الجن :

**أبْصرُ .. ماذا أبْصِرُ؟**

**غيثًا و أنواءً , وبحرًا زاخرًا**

**سهلًا وظلًا .. ألف عفريتٍ .. يئنُّ.. يزأرُ**

**وفى العُباب تَمْخرُ**

**جنيّةٌ سوداءُ لا تستترُ**

**شموعُها , نجمةُ دفْءٍ تنشرُ**

**دينا.. حكايات ..على تهليلةٍ تُثرثرُ**[٣٠]

هنا عنون الشاعر القصيدة بـ " حكايتي عن جزيرة الجن " وجزيرة الجن من الأساطير المشهورة, فمصطلح جزيرة الجن يجسد ((حالة من الصراع الإنساني في علاقاته الاجتماعية المتعددة فتندمج ذات الشاعر, وتتوحد مع الذات الجماعية لتعكس الواقع الاجتماعي , على أن يتجاوز هذا التصور , انعكاس المرآة للواقع الخارجي في محاولة تشكيلية ضمن ما يتفق مع معطيات الذات الجماعية ))[٣١].

" فجزيرة الجن " هنا عنصر بنائي لإقامة صورة جزئية ترفد الصورة الكلية التي يريد الشاعر أن يظهرها للمتلقي, فتتكئ الصورة على الجنية والحكايات وفعل الرؤيا ؛ فلفظة (الجنية , ألف عفريت يزأر , يئن ) هي إشارات متحدة في سياقها تؤدى معنى لا يحتاج فيه المتلقي إلى معرفة بالرمز الأسطوري أو تفاصيل الأسطورة, لأن الدلالة هنا ليست الدلالة التي يحملها الرمز , ولكن تحملها الصورة, كما يرى الشاعر أن جزيرة الجن كالجزر العادية رغم أنها خيالية ففيها السهول ,والظلال, والبحر ,والأنواء وغيرها من المظاهر الطبيعية التي يرسمها الشاعر، ليس هذا وحسب بل أيضًا في هذا المكان المتخيل سكان من عالم آخر وهو عالم الجن ، ثم يرسم لنا الشاعر صورة فنية لإحدى سكان هذه الجزيرة وهي جنية سوداء اللون كناية عن حزنها ومشاعر اليأس التي تكتنفها، تعيش في مكان عباب مطلق لا يستر حزنها شيء في هذا المكان الفسيح البعيد عن أمكنة الجن الأخرى فوق هذه الجزيرة المتخيلة. في حين أن هناك الكثير من الجن على هذه الجزيرة المتخيلة يعيشون حياة سعيدة, وسر هذه السعادة هو ما قدموه من شر وظلم لغيرهم , فكانت الجزيرة تعج بالظلم والشر الذي استطاع الشاعر أن يصوره في لوحات فنية متنقلاً بين شخصيات الجزيرة. ثم يعود الشاعر ليصف لنا ماذا في جزيرة الجن فيقول:

**أحار ماذا أبصرُ؟**

**سفائن هناك قد تحطمتْ**

**بحّارةٌ.**

**أضواؤهم مختنقةْ**

**أصواتهم مرتَّقةْ**

**شباكهم , مُذ أُلقيتْ, تصفرُّ في وجوهم**

**والموج، والإعصارُ ينهدُّ بهم**[٣٢]

تعتمد هذه الصورة الشعرية على حوار داخلي , اللحظات الإشراقية التي تمتد على مساحة الوجدان , وهذه اللحظات وشائجية , تعبر عن الثبات الذى تمتاز به التجربة العاطفية التي تنطلق من الماضي إلى الحاضر وهو ما أفاده تكرار " ماذا أبصر؟ "؛ وفي هذا تعبيرٌ عن محاصرة الحاضر المتمثل بالخراب والدمار , كما يسعى الشاعر لخلق ما أسماه منطق الجو الأسطوري من خلال , السفن ، والبحارة ، والشباك والموج الذي يعتصر الجميع , ويصور الشاعر من خلال خياله ما حدث في المكان , سفن قد تحطمت وغرقت ، وموج وإعصار، فيعبر الشاعر عن المكان المحطم الذي أصبح كماء البحر الذي يبتلع ساكنيه.

وفي هذه الجزيرة أفعى يخاف الشاعر لدغتها تختال بين العشب غير مهتمة بشيء، وتسير بين الجبال وتنفث سمها في كل مكان حتى لوثت مطر الجزيرة، فيقول

**أخافُ مِن سيلِ الجبالِ.. عينِ أفعى تقطرُ**

**سُمّاً وريحًا تقطرُ**

**أخافُ مِنْ همسِ المَطرْ**

**ومِنْ دفوفٍ خَضَّبتْ شدوَ الوَترْ**[٣٣]

ولعل هذه الجزيرة المتخيلة في عالم الشاعر ماهي إلا جزيرة موجودة بداخله؛ أوجدتها الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة به, وبموطنه بعدما وجد الظلام يخيم على العراق, وبتحول الناس فيه إلى شخصيات عجيبة بمنطق عجيب كالأفعى والجنية السوداء والعفاريت وغيرها.

-**الجنة:** جعل الشاعر من الفردوس رمزا للمكان المحبب إلى نفسه, كونه مكانا حالما محتضناً لأجواء شاعرية قريبة من نفس الشاعر, لأنّ في ذلك دليلاً على بحث الإنسان عن المثال الكامل والأعلى المتفاعل فيه الوسط اللامتناهي المعروف بسحره وجماله وبظلاله الدائمة والأبدية , فالمكان /الفردوس ذو صيغة استباقية ضمن الوجود المادي فهو مكان غير مرئي, لا يمكننا مشاهدته مكان لم ترَهُ العين ولم يتجسد في حقبة ما.[٣٤]

ويتحدث الشاعر عن الجنة وهي المكان المثالي اليوتيوبي بالنسبة له , فيقول :

**داهمني في الطريق الجبليّةْ,**

**أغمضتُ العينين.. فكانَ الله**

**يفتح لي الجنةْ**

**ومحمد يشرح، لي صدري.**

**فأنا : ملك الفقراء**

**و أنا : ملك الأمراءُ**[٣٥]

تمثل " الجنة " عند الشاعر المكان , الذي يجمع فيه كل أنواع الجمال , المكان المثالي حيث((وظفّه الشاعر توظيفاً على درجة عالية من الكفاءة , جامعاً بين دلالته التراثية بشكل رمزي ودلالته النفسية لديه))[٣٦] فقد نجد الشاعر يكثر من الأسماء المقدسة خلال النص , والتي تشعر السامع بأجواء المكان المقدس المحمي من الخارج المعادي والمتحرر من قيود المكان المقترن بالخوف وعدم الاستقرار وفقدان الأمان..

فالشاعر من خلال استخدامه الرمز الديني بصورة خيالية أكسب مكانه إيحاءً متجدداً على مر العصور, فهذا المكان المثالي الذي يطمح فيه كل انسان , ما هو إلا رمز لجنة الشاعر التي يرنو إليها.

## النتائج

بعد هذا العرض الموجز للمكان المتخيل في شعر عبد الكريم راضي جعفر, الذي كان عالما غريبا متخيلاً يبدو لكل من خاضه وتعمق به , ساحراً لا يجد مخرجاً بل يبقى أسير سحره ومظهره الخلاب . نختم بحثنا هذا بأهم النتائج التي توصلنا إليها بالنقاط التالية:

- شكّل الخيال أهميةً كبيرةً وحضوراً بارزاً داخل الإنتاج الأدبي , مما أسُهم بإثراء النص الأدبي وتمكين حبكته بالصور الخيالية لعوالم متميزة غير موجودة على أرض الواقع فاتحة المجال للقارئ نحو اللامحدود كونه إبتكاراً غير محكوم بعوالم ثابتة ومقيدّة .

-يتجلى كثير من الأحيان الجمع بين الخيال الشعري والمكان إلى تحقيق المتعة الفنية للمتلقي وبلوغ الفائدة المعرفية , وذلك بفضل الصياغة اللغوية التي أعتمدها الشاعر في أغلب الأبيات الشعرية والقائمة على الإيحاء والترميز, فضلاً عن تنوع الأنساق التعبيرية . وكل هذه تؤدي بالمتلقي إلى تفعيل عنصر الخيال في عملية التلقّي من خلال القبول والإثارة .

-اكتسب المكان في شعر عبد الكريم راضي جعفر أهمية خاصة كونه فضاءً واسعاً ورحباً يغوص فيه الشاعر, ويتجاوز حدوده الطبيعية المعروفة إلى حدود خيالية تبقى عالقة في خيالة الشعري , فهرب الشاعر من واقعه المرير إلى عالم خيالي ابتكره لنفسه , عالم يغيب فيه العقل ونسيان الآلام والمصاعب ويتفرغ فيه للهو والرفاهية .

***الهوامش:**

١-المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث:٤٢٤.

٢-ينظر:إنتاج المكان بين الرؤيا والبنية والدلالة :٧٤.

٣-ينظر:المكان ودلالاته في شعر السياب:٧٣.

٤-المكان في شعر ابن زيدون:١٠٥.

٥-ينظر:المكان في الشعر المهجري:١٦٢

٦-ينظر:شعرية المكان في الشعر العربي المعاصر-قراءة في شعر محمود درويش وسميح القاسم:١٧٧.

٧-يقول المغنّي:١٠٢.

٨-التفسير النفسي للأدب:٣٦.

٩-زهرة البرتقال:١٨.

١٠-ينظر:رؤية الموت في شعر محمد القيسي:٥٩.

١١-يقول المغنّي:٨.

١٢-الروائي والأرض:٥.

١٣-ياأيّها الناس:للندى معصرة:٤٣.

١٤-ينظر:الرمز والموروث الشعبي في شعر عبد الكريم راضي جعفر:٥٢٣.

١٥-ياأيّها الناس :للندى معصَرة :٤٥-٤٦.

١٦-ارتفاعات الشفق الجنوبي:٤٣.

١٧-استدعاء شخصية الحسين بن علي في الشعر العربي الحديث:٨٤.

١٨-ارتفاعات الشفق الجنوبي:٤٤.

١٩-جماليات المكان في الرواية العربية :٢٠.

٢٠-ينظر:المكان في شعر ابن زيدون:١٠٧.

٢١-يقول المغنّي:٨٣.

٢٢-ينظر:شعرية المكان في الشعر العربي المعاصر:٥٩.

٢٣-عشب الأفول:٣.

٢٤-ينظر: رماد الشعر.٧٣

٢٥-عشب الأفول:٧.

٢٦-يقول المغنّي:٩٢.

٢٧-ينظر: جيكور وأثرها في شعر بدر شاكر السياب:٢٦٥

٢٨-المكان ودلالاته في شعر السياب:٧٥.

٢٩-التفسير النفسي للأدب:١٩٠.

٣٠-الدفء البارد:٦.

٣١-جماليات المكان في الشعر العراقي الحديث"سعدي يوسف أنموذجاً":٦٤.

٣٢-الدفء البارد:٧.

٣٣-المصدر نفسه : الصفحة نفسها.

٣٤-ينظر:المكان في شعر سامي مهدي:٧٤.

٣٥-زهرة البرتقال:٦.

٣٦-المكان في شعر سامي مهدي:٧٧.

***المصادروالمراجع:**

- ارتفاعات الشفق الجنوبي: عبد الكريم راضي جعفر, دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد ١٩٨٧.

-استدعاء شخصية الحسين بن علي في الشعر العربي الحديث ,د. تيسير محمد أحمد الزيادات , مجلة العرب, تركيا, العدد الثالث, ٢٠١٢م.

- إنتاج المكان بين الرؤيا والبنية والدلالة: د. محمد الأسدي , وزارة الثقافة العراقية , دار الشؤون الثقافية, بغداد, د.ط ٢٠١٣.

-أيّها الناسُ: للندى مِعْصَرة, عبد الكريم راضي جعفر, مؤسسة ثائر العصامي , بغداد ,ط١ ٢٠١٦.

-التفسير النفسي للأدب : د. عز الدين إسماعيل , مكتبة غريب , القاهرة , ط٤, د. ت.

- جماليات المكان في الرواية العربية :شاكر النابلسي, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, دار الفارس النشر والتوزيع , عمان ,ط١, ١٩٩٤م.

- جماليات المكان في الشعر العراقي الحديث " سعدي يوسف أنموذجاً" : مرتضى حسين علي حسن , جامعة فيلادلفيا, كانون الثاني , ٢٠١٦م.

-جيكور وأثرها في شعر بدر شاكر السياب: موفق رياض نواف مقدادي , مجلة الطريق للتربية والعلوم الاجتماعية ,مج ٥, العدد١٣, ٢٠١٨م.

- الدفء البارد , عبد الكريم راضي جعفر, مطبعة حداد ,البصرة ,١٩٧٠

- الروائي والأرض : د. عبد المحسن طه بدر , دار المعارف , مصر , ط٣, ١٩٨٣

- رماد الشعر , دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق: د. عبد الكريم راضي جعفر , دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ط١, ١٩٩٨.

-رؤية الموت في شعر محمد القيسي : ملاك سعيد محمد شعبلور, رسالة ماجستير , كلية الآداب والعلوم , جامعة الشرق الأوسط , كانون الثاني ٢٠١٦م.

-الرمز والموروث الشعبي في شعر عبد الكريم راضي جعفر:م.م. ساجد حمزة غليم , مجلة جامعة واسط للعلوم الانسانية , المجلد الرابع عشر , العدد ٣١, د.ت.

-زهرة البرتقال ,عبد الكريم راضي جعفر , دار الفراهيدي للنشر,ط١ بغداد, ٢٠١٣.

-شعرية المكان في الشعر العربي المعاصر " قراءة في شعر محمود درويش وسميح القاسم " طيب حمايد ,اطروحة دكتوراه, كلية الآداب واللغات والفنون , جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس, ٢٠١٧-٢٠١٨م.

- عشب الأفول ,عبد الكريم راضي جعفر, دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد, ٢٠٠٠.

-المكان ودلالاته في شعر السياب : محمد طالب غالب البجاري, رسالة ماجستير, كلية التربية جامعة البصرة , ١٩٩٨ م.

- المكان في الشعر المهجري: حكيم صبري عبد الله,(رسالة ماجستير), كلية التربية , الجامعة المستنصرية, بغداد,٢٠٠١.

-المكان في شعر سامي مهدي :سلام مهدي رضيوي الهلالي , رسالة ماجستير , كلية التربية , جامعة البصرة , ٢٠٠٤م.

-المكان في شعر ابن زيدون :ساهرة عليوي حسين العامري , رسالة ماجستير , كلية التربية , جامعة بابل , ٢٠٠٨م.

-المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث : أحمد رحيم الخفاجي , دار صفاء للنشر والتوزيع الأردن , ط١, ٢٠١٢م.

-يقولُ المغنّي: عبد الكريم راضي جعفر, دار الفرات للطباعة والنشر , بابل , ط١, ٢٠١٧.